الجمهورية
الثقافية
(٢ / ١١ / ١٩٩٥م)

نقد وتحليل :
علوي عبدالله طاهر
استاذ مساعد في
قسم اللغة العربية
بجامعة عدن

دراسة نقدية تحليلة لمسرحية سيف بن ذي يزن للشاعر الدكتور/ محمد عبده غانم

اولا:التعريف بمؤلف المسرحية

مسرحية (سيف بن ذي يـزن هي أولى مسرحيات الشاعر اليمني الاستـاذ الدكتـور محمد عبده غانم ،صدرت حتـى الآن في طبعتين اثنتين ،الأولى عن دار العلم للملايين في بيروت عام١٩٦٤م والثانية عن الدار اليمنية للنشر والتوزيع ،عام ١٩٨٦م.

وللشاعر محمد عبده غانم ثلاث مسرحيات أخرى غيرهـا،هي «الملكـة اروى»و«عـامـر بن عبدالوهاب»و«فارس بني زبيد»،كلها مسرحيات شعرية ،وله أيضا عدد من الدواوين مثل:

١ـ على الشاطىء المسحور،الصادر عام ١٩٤٦م.
٢ـ موج وصخر ،الصادر عام ١٩٦٢م.
٣ـ حتى يطلع الفجر،الصادر عام ١٩٧٠م.
٤ـ في موكب الحياة الصادر عام ١٩٧٣م.
٥ـ في المركبة ،الصادر عام ١٩٧٩م.
٦ـ الموجة السادسة الصادر عام ١٩٨٥م.

بالاضافة الى ديوانه الذي يضم بين دفتيه معظم قصائد الدواوين السابقة وغيرها من القصائد وله عدد من المؤلفات النثرية باللغتين العربية والانجليزية ،مثل:(عدني يتحدث عن البلاد العربية والعالم،وشعر الغنـاء الصنعـانـي ،ومـع الشعـراء في العصر العباسي..وغيرها)بالاضافة الى بعض الكتب التي حققها مثل:(زمـان الصبا)و(صنعـاء حـوت كل فن)..

والاستاذ الدكتور محمد عبده غـانم من مـواليد مدينـة عدن عام١٩١٢م.تعلم في مـدارس عدن،ثم اكمل دراستـه الجامعية في الجامعـة الامريكيـة في بيروت حيث تخرج منهـا عـام ١٩٣٦م في مجال التربيـة والأدب العـربي وكـان حينهـا يعتبر اول خريـج يمني مماأكسبـه مكانة رفيعـة في المجتمع ،مكنه من تولي أعلى المناصب القيادية في عدن التي كانت يـومهـا خـاضعة لسلطة الادارة البريطـانيـة وقد عمل في سلك التدريس الحكومي وترقى ليكون ضابطاً لمعارف «مستعمرة عدن»ثم ترك الخدمة عـام ١٩٦٢م وتفرغ للـدراسات العليا حيث حصل على شهادة الـدكتوراه في شعـر الغنـاء الصنعـاني وشـاءت الظـروف ان يعيش شطـراً من حيـاتـه متنقلاً بين عـدد من العواصم العـربية والعـالمية عمل في اثنائهـا محاضراً في بعض الجامعات الى ان استقـر بـه المقـام في صنعـاء عـام ١٩٧٧م حيث التحق بجامعـة صنعاء وانتقل منهـا بعد ذلك الى الامارات العربية المتحـدة ليعمل مستشاراً ثقافياً في السفارة اليمنية وعاد بعـدها الى صنعاء وبقي فيها حتى واقته المنية في التاسع من أغسطس عام ١٩٩٤م عن عمر نـاهز ٨٢عـامـاً حـافلة بـالابداع الأدبي والفني والعطاء الأكاديمي المتميز.

ولانحب في هـذه الـورقـة أن نـدخل في التفـاصيل الدقيقـة المتعلقة بحيـاة الاستاذ الـدكتور محمد عبـده غـانم ولكننا نكتفي بهذا التعـريف الموجـز الذي يساعدنا على تكوين فكرة عن مؤلف المسرحية التي هي موضوع دراستنا في هـذه الورقة النقدية المتواضعة.

وبعد أن عرفنا بالشاعر سنحاول الدخول مباشرة في الحديث عن مـوضـوع مسرحيـة«سيف بن ذي يـزن» وسنعمل جـاهديـن على عرضهـا بصـورة موجزة مـركزيـن على أحداثها وخصـائصها الفنية ،مع إعطاء وجهة نظر نقـدية حول المسرحية ،بعد ان نكون قـد عرفنـا القارىء بـالمسرحية تعـريفاً يسمح له بمشاركتنا في احكامنا النقدية ومناقشتنا في آرائنـا ،وعـدم التحـرج في ابـداء وجهـات نظر مغـايـرة لبعض آرائنـا أو مـؤيـدة لبعض مقولاتنا،وعسانا ان نكون قد وفقنـا في تقديم هذه الدراسـة النقدية والتي نعتبرهـا مدخلاً لـدراسة المسرح الشعري ليس عند غانم فحسب ،بل اليمن عموماً.

ثانيا:التعريف بموضوع المسرحية:

سيف بن ذي يزن.نحو ٥١٦ـ٥٧٤م.

من ملوك اليمن ودهاتهم قبل اسمه معد يكرب،ولد ونشا بصنعـاء وكان الأحبـاش قد ملكـوا اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد وقتلـوا أكثر ملوكها من آل حمير فنهض سيف وقصد انطاكية وفيهـا قيصر ملك الروم فشكا إليـه مـاأصاب اليمن،فلم يلتفت إليه فقصد النعمان بن المنذر «عامل كسرى على الحيرة والعراق فاوصله الى كسرى انوشروان «ملك الفرس» فحدثـه بأمره ،فبعث كسرى معـه نحـو ثمانمائة رجل ممن كانـوا في سجـونه وأمّر عليهم شريفاً من العجم اسمه«وهـرمز»فسار بهم إلى «الأبلة»،غـرب البصرة وركبوا البحـر وخرجـوا بساحل عدن فاقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم فقتلـوا ملك الحبشـة وهـو«مسروق بن أبـرهـة الأشرم»ودخلـوا صنعـاء وكتبـوا إلى كسرى بفتح اليمن فالحقت اليمن ببـلاد الفرس ،على ان يكـون ملكهـا والمتصرف في شـؤونها«سيف بن ذي يـزن»واتخذ الملك سيف «غمـدان»قصراً له،وعـاد الفرس الى بـلادهم واستبقى سيف جماعـة من الحبشـان أشفق عليهم وجعلهم خدماً له.

ووفدت على سيف أمراء العـرب تهنئه فمكث في الملك نحـو خمس وعشريـن سنـة أو دون ذلك وائتمر بـه بقـايـا الأحبـاش فقتلـوه بصنعـاء وهـو آخـر مـن ملك اليمن من بني قحطان.

هـذه هي شخصـة سيـف بن ذي يـزن«ملك اليمن»كما روتها المصادر التـاريخية إلا «ان الناس عرفوا في شخصيته بطلاً مغواراً كراراً وفارساً شجاعاً».

من خلال السيرة الشعبيـة التي يرويها راو يـدعى أبـا الفضـل وفيهـا كثير من الخيـال والشطحات والمتعـة مماجعلها تحتل مكـانـاً بـارزاً بين السير الشعبيـة العـربيـة ربما بسبب نضـالـه القـومي ضـد الاحبـاش وانتصاره على ملوكهم في اليمن.

وكان الشاعر محمـد عبده غانم من المعجبين بشخصية سيف بن ذي يزن مماجعله يتمثل هذه الشخصية في نونيته الشهيرة المنشورة في ديـوانـه الأول «على الشـاطيء المسحـور»الصـادر عـام ١٩٤٦م والتي مطلعها:

«هذا الهدير يرن في الاذان
صوت الدهور وصرخة الازمان»

والتي يقول فيها:

«الله أكبر حول(صيرة)يابقي
بحران محتدمان ملتطمان»
«جاشا بما أطربت به دنياهما
من قصة موارة الالحان»
«خطرت عليها الحادثات مواكبا
تمشي الهوينا في ذرا(شمسان)»
«من عهد حمير ذي الكلاع وتبع
والفرس والأحباش والرومان»

وقد وضع غـانم لهذه الثنوية عنوانـا«قصة الامواج»لأنه يغلب عليهـا الطـابع الملحمي ،حيث تـروي قصـة الصراع اليمني مع الشعـوب الاخـرى حتى انتصار سيف على الاحباش حيث نجده يخاطب سيفاً في نهاية القصيدة قائلاً:

«ياسيف ذي يزن لقد أبليت في
طلب الخلاص لهذه الأوطان»
«قد جزت اجواز القفار ميمما
شطر المدائن منتدى إيران»
«ونزلت في أكناف كسرى طالبا
عون المعظم صاحب الايوان»
«وركبت أهوال البحار ولم تخف
سود المهالك في فم الطوفان»
«فاجلس على عرش الجدود فإنه
عرش القلوب الثابت الأركان»
«وانزل بصنعاء الجميلة إنها
مرعى المها ومسارح الغزلان»
«وأطل من شرفات قصرك عندما
تغد الوفود الى ربا(غمدان)»
«وانزل اليهم ضاحكا مستبشرا
تسمع من الخطباء خير لهان»
«يلقون بين يديك من اياتهم
ماتشتهي قحطان من عدنان»
«بشراك قد ذهب الظلام بعصره
وأتى الضياء لنا بعصر ثان»

●●●

■ ■ ثالثاً : التعريف بأحداث المسرحية

وربما استعذب غانم هذ الملحمة فقرر أن يحولها إلى عمل مسرحي ، اتخذ من هذه الملحمة أساساً لمسرحيته الشعرية (سيف بن ذي يزن) الصادرة عن دار العلم للملايين ببيروت عام ١٩٦٤ م ، وقد لقيت قبولاً حسناً عند صدورها ، وتجاوبت معها الأوساط الثقافية والتربوية ، حيث قام طلاب وطالبات كلية بلقيس في الشيخ عثمان بتمثيلها على مسرح المدرسة عام ١٩٦٥ م بحضور المؤلف نفسه ، وقد كان لي شرف الإسهام في تمثيلها حيث قمت بدور (عبدالمطلب) وقام زميلي علي اسماعيل سيف بدور سيف ، وزميلي الاخ عبدالجبار طاهر بدور (أبرهة) وزميلي الرابع قاسم سيف محمد بدور (إرياط) وغيرهم من الزملاء الذين تقاسموا أدوار المسرحية وأدوها خير الاداء بشهادة المؤلف نفسه ، وهذا يدل على وجود نشاط فاعل للمسرح المدرسي مما ساعد على ايجاد جمهور متذوق للمسرح من أولياء أمور الطلبة والطالبات الذين اكتضت بهم ساحة العرض .

ومما يجدر ذكره أن الاستاذ عبدالله فاضل فارع كان أول من لفت نظر القراء الى هذه المسرحية في مقال نشره في مجلة (دراسات) الصادرة عن مؤتمر المتخرجين بعدن (ابريل ١٩٦٦م) ويمكنني هنا أن استعرض أحداث المسرحية ، ثم اعطاء رأي بشأنها.

تتكون المسرحية من اربعة فصول وفي كل فصل عدد من المشاهد . يفتتح الستار على المشهد الأول في حديقة قصر يظهر من ورائها البحر تلمع في سمائه النجوم ، وفيه تطل شخصية سيف بن ذي يزن كاول شخصية تظهر في المسرحية ، ويظهر في المشهد في موقف غرامي ينتظر قدوم حبيبته (شمس) قائلا :

« ثائر الأمواج في الظلمات هادي
وفؤادي آه ما أشجى فؤادي »
«فجّرت فيه براكين الأسى
لوعة الوجد وأشجان السهاد »
« يا لحبٍّ كاد لي فيه العدا
بالنوى ، أواه ! من كيد الأعادي

و (شمس) هي ابنة ذي نواس ملك اليمن ، وهو أيضاً أمير جليل من أمراء (تبّع) فقد هام في حبها هو وأمير تبعي آخر اسمه (حسان) وهو ابن ذي جدن الحميري ، ونشا بينهما تنافس على حبها ، وكلاهما من خيرة الشباب رجولة وشجاعة .

وفي هذا المشهد يلتقي سيف بحبيبته شمس ، ويدور بينهما حديث يقطعه فجاة منافسه على حبها (حسان) حيث يداهم القصر مع عدد من الجنود بعد أن كان قد وشى بعلاقة سيف بشمس إلى الملك (ذي نواس) لغرض التخلص من سيف ليخلو له الجو ، فتحبه شمس ، ويخلص له قلبها .

وقد وفق الكاتب في هذا المشهد أيما توفيق ، حين أثار تنافساً بين سيف وحسان على حب شمس لإثارة الاهتمام بما يدور في القصر التبعي من صراع وتنافس وحسد وغيرة وحب ونحو ذلك ، ممهداً بذلك لإبراز سيف بن ذي يزن كبطل قومي يسعى لصالح تحرير بلده . في الوقت الذي يصبح فيه منافسه على حب (شمس) عميلاً لقوى الاحتلال ، لا هم له إلا تحقيق مصالحه الذاتية .

وفي المشهد الثاني ينقلنا المؤلف الى قاعة العرش في قصر ذي نواس وقد جلس ذو نواس على عرشه وحوله كبار الأمراء والحاشية ، وفيه دخل سفير النجاشي على الملك ليتشفع للأقلية المسيحية التي اعلنت عصيانها وتمردها في نجران ، فكان جزاؤها أن شنّ عليها ذو نواس الحرب لتاديبها . وفي هذا المشهد يدور حوار ساخن بين السفير والملك ذي نواس ، نقتطف منه الحوار الآتي :

« الرسول : مولاي يا صاحب الجلاله
يا من يهاب الورى نكاله »
ثوار نجران قد أبيدوا
لم يبق منهم إلاّ حثاله »
ذو نواس : كذاك نجزي الفساد حتفاً
ونقمع الشر والضلالة »
السفير : مولاي لا تظلموا النصارى
وحكموا العقل والعدالة »
ذو جدن : ماذا يريد الأحباش منا
وما لهم عندنا قباله »
ونحن أسمى منهمُ مقاما
ونحن أزكى منهمُ سلاله »
كم ينصحونا ويعذلونا كاننا من دونهم نباله
ذو نواس : لا بأس بالنصح إن تحرى
من ينصح الناس في المقالة »
ولم يكلفهموا بأمر
قد أدركوا كلهم وباله »

في الوقت الذي كان الحوار على أشده بين الملك والسفير ، يقطع الحديث فجاة ـ خبر مفاده أن تمرد نصارى نجران قد تم القضاء عليه واستؤصلت شأفته ، وفي ذلك إشارة الى حادثة (أصحاب الأخدود) الذين ذكروا في القرآن الكريم في قوله تعالى « والسماء ذات البروج *واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل اصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قُعُود* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

وقبل أن ينتهي المشهد يخرج سفير الحبشة غاضباً وقداضمر الشر بينما يامر الملك ذو نواس بالاستعداد للقاء الأحباش ، لأنهم ربما ينتقمون لنصارى نجران ، ويدبرون حملة لغزو اليمن ، وينتهي المشهد بالحوار التالي :

« ذو نواس : (بعد أن يخرج السفير) :
كيف ترى الأمر يا وزيري
وما تظن السفير فاعل ؟
ذوجدن : أراه يغلي غيظاً وحقداً
و إن أرانا سن المجامل
ذونواس : لسوف يسعى لدى النجاشي
فينفخ الشر في القبائل
حتى يغطي المضيق فلكا
ويملأ الشط بالجحافل
فراقبوا البحر واستعدوا
وحصنوا مدخل السواحل »ويرتفع الستار في المشهد الثالث لنرى (شمس) ووصيفتها (هند) و (كوكب) يطللن من شرفة القصر على البحر ، وهن في حالة من الخوف والهلع ، وفي قلق شديد من مصير المعركة الدائرة بين الغزاة الأحباش والمدافعين اليمنيين ، والتي تسفر عن هزيمة اليمنيين هزيمة منكرة ، ولتفوق الأحباش عدة وعتاداً، يضطر الملك ذو نواس أن يخوض غمار البحر بحصانه حتى تبتلعهما أمواجه ، لأنه كان لا يريد أن يقع في الأسر وما يتبع ذلك من مذلة ومهانة .

أما سيف بن ذي يزن قائد فرسانه فقد أصيب بسهم جارح أقعده عن مواصلة القتال مما أضطر (شمس) الى الخروج الى ميدان المعركة للمشاركة في القتال لانقاذ سيف .

وهنا ينتهي الفصل الأول من المسرحية .

ويبدأ الفصل الثاني في مشهده الأول من حيث ابتدأ الفصل الأول في القصر الملكي نفسه ، غير أن الذي يجلس على العرش في هذه المرة هو (إرياط) قائد الحملة الحبشية وإلى جواره مساعده (ابرهة) و (يكسوم) ، ويظهر في المشهد الأول (إرياط) يستعرض كبار الأسرى ومن بينهم (ذو جدن) والد حسان ، ومستشار ذي نواس ، وفي اثناء استعراض الأسرى ، عمل (إرياط) على أن يصطفي من بينهم عملاء ليتعاونوا معه ، ويساعدوه في توطيد أقدام الحبشة في اليمن ، ثم يدخل يكسوم معه ذو جدن وحسان وهما من الأمراء الأسرى ، في اثناء دخولهما يطلب ابرهة منهما أن يلثما الأرض تحت قدم ارياط ، إلاّ أن الأمير ذا جدن يرفض ذلك رفضاً قاطعاً ويقول : « صه إن لثم الأرض كان بكم أولى » .

وفي هذه الاثناء يشتد غضب أبرهة ، فيضرب بسيفه ذو جدن فيخر صريعاً على الارض ، بينما حسان يقبل الأرض بعد أن رأى أباه صريعاً ، وماهي إلاّ لحظات حتى يؤتى بسيف وشمس أسيرين ، فيستاء سيف من رؤية حسان جاثماً على الارض فيستنكر عليه فعلته ويغلظ عليه القول بينما يكبر إباء والده ذي جدن ، فيثير ذلك حنق ابرهة ويكاد يبطش بسيف لولا أنه أرجأ ذلك حتى يشفى من مرضه لينازله منازلة الأبطال ،

أما حسان فيصير من يومها عميلاً يسير في فلك الأحباش المحتلين ، واما شمس فيأمر ارياط بارجاعها الى القصر لتكون ضمن السبايا ، أو ليتزوجها .

ويدلنا المؤلف الى المشهد الثاني وهو عبارة عن شرفة قصر مطلة على البحر تبدو من ورائها السماء والنجوم تتالق فيها ، وفي هذا المشهد تقابل شمس إرياط الذي يحاول أن يخطب وده ، ولكنها ترفضه وتشترط عليه لقبول الزواج منه أن يطلق سراح سيف وهي تعلم أن ذلك الطلب سيثير فتنة في القصر بين القواد الذين يعلمون تودد إرياط لها ، وكان غرضها أن يضرب القواد بعضهم ببعض لتخلص منهم جميعاً .

وفي المشهد الثالث يلتقي سيف وشمس ، بعد أن أفلحت وساطتها في اطلاق سراحه ، وبدلاً من أن يدور الحديث بينهما عن الحب والزواج دار حول الوسيلة التي يمكن اتباعها للخلاص من الأحباش ، وارجاء مسالة الزواج الى ما بعد النصر ، وقد أقنعها سيف بأن زواجها بارياط لن يفيد قضية النضال من أجل الخلاص من الاحباش مهما استغلته للايقاع بابرهة أو لاغتيال ارياط بالسم أو بالخنجر ، حيث أنها تريد أن تتخذ من زواجها بارياط وسيلة لخلاص منه بالسم أو بالخنجر .

ومما جاء في الحوار :

سيف : « السم والخنجر الغدار ما دفعا
يوماً عن الأمة العزلاء عدوانا»
إنْ تقتلي سيد الأحباش قام بهم
من بعده سيد يعلوه طغيانا»
شمس : « وكيف تطمع في إنقاذ أمتنا
من نيرهم وهي تلقى الخسف ألوانا»
سيف : « بنجدة من بني الأعمام عارمة
يلقى العدو بها ذلاً وخسراناً »
شمس : أخاف أن يتولوا عنك .
سيف : عند ئذ
أمضي وشيكاً الى كسرى نوشروانا
برئت من يزن إن لم أعد ومعي
جيش يغطي الربى خيلاً وفرسانا

وقبل أن ينتهي المشهد يكون سيف قد سافر لطلب العون من الفرس .

وينقلنا المؤلف الى المشهد الرابع ليرينا قائد المعسكر الحبشي في خيمته وقد جلس في صدر المجلس أبرهة والى جواره يكسوم وكلاهما من كبار أعوان ارياط ، وفي هذا المشهد يدور حوار بين أبرهه ويكسوم حول موضوع زواج ارياط بشمس يشتم منه رائحة عدم الرضى عن هذا الزواج ، لأنه إن تم سيتيح الفرصة لشمس أن تؤثر على ارياط لقوة نفوذها عليه للإيقاع بين الأحباش وإضعاف نفوذهم تمهيداً لطردهم .

ومن اجل افشال زواج ارياط بشمس اتفق أبرهة ويكسوم على استدعاء حسان وإثارة الغيرة في نفسه تجاه إرياط بخصوص شمس ، ليدفعاه الى اغتيال ارياط ، وقد كان لهما ما أراداه ، إذ استجاب لهما حسان لأنه كان أداة طيعة بيدهما .

وفي الفصل الثالث نجد أنفسنا أمام ثلاثة مشاهد تدور حول موضوع الحملة الحبشية على مكة ، بعد أن كان أبرهة قد تخلص من ارياط واستولى على العرش ، وفيه نجد أبرهة قد فرغ من بناء كنيسة عظيمة للنصرانية في صنعاء ، أسماها « القليس » ولكن العرب لوثوها ، فقرر الانتقام منهم بهدم الكعبة التي يحجون اليها في مكة ، فشن حملة فاشلة ، ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة (الفيل) .

وفي الفصل الرابع نجد الامير سيف بن ذي يزن بعد أن هرب يطوف في الصحراء بين القبائل باحثاً عن عون من عرب البادية ، ولكنه يجدهم منصرفين عنه لانشغالهم بحروبهم القبلية الطاحنة ، فيتجه صوب فارس ليلتقي ملكها كسرى أنو شروان بعد أن مرَّ بالحيرة عاصمة المناذرة .

ويرينا المشهد الثاني قاعة العرش في قصر كسرى ، وقد جلس كسرى على العرش والى يمينه وزيره بهرام والى يساره قائداه رستم ووهرز ، وفي المشهد يدور نقاش حاد بين كسرى وكبار أعوانه حول المساعدات الممكنة لإعانة الامير سيف خاصة أن كسرى كان لا يريد أن يغامر بجيشه ، بل يريد الأحتفاظ به لملاقاة خصمه الروم في الشمال ، غير أن اعوانه أقنعوه بصواب فتح جبهة في الجنوب ، بالاستفادة من اليمن لمواجهة النجاشي ملك الأحباش وحليف الروم وقد استقر الرأي فيما بعد بمد الامير الحميري سيف بن ذي يزن بجيش من المسجونين العصاة ، ليستعين بهم في مواجهة الأحباش .

ثم ينقلنا المؤلف الى المشهد الثالث ليرينا وصول سيف الى خليج عدن ومعه المحاربين الفرس ، وعند الشاطىء يقابله قائد البحرية اليمنية في عهد ذي نواس واسمه (شرحبيل) ومنه يعلم بمقتل إرياط على يد يكسوم و اتهام حسان بذلك ، كما يعلم أيضاً بمقتل شمس أثناء محاولة فرارها من القصر ، وأشياء أخرى حصلت في غيابه .

ويتفق سيف مع شرحبيل على مهاجمة الأحباش من جهة البحر ، فدارت بين الجانبين معركة أسفرت عن قتل يكسوم وأسر أبرهة وانتصار قوات سيف بن ذي يزن على الاحباش .

ويرينا المشهد الرابع والأخير من المسرحية أبرهة وهو يقاد أسيراً الى سيف بن ذي يزن ، فيتذكر سيف وعده بمبارزة أبرهة ، فيامر باطلاق سراح أبرهة ، وبعد فك قيوده يبارزه مبارزة الفرسان فيقتله ، ثم يتوج بعد ذلك ملكاً على اليمن ، تنتهي المسرحية بهتاف من داخل المسرح وخارجه .:

« عاش سيف بن ذي يزن
ملكنا على اليمن »
« عاش ذخراً للوطن » ثم يقفل الستار .

رابعاً وجهة نظر نقدية حول المسرحية

تتركز المسرحية حول ثلاثة أبعاد:

البعد الأول : يمثل شخصية الأجنبي المحتل، ومن رموزه: إرياط، أبرهة، ويكسوم، أي الأحباش عموماً الذين احتلوا اليمن.

البعد الثاني : ويمثل شخصية المداهن للأجنبي، والسائر في ركابه ، ومن رموزه : حسان بن ذي جدن.

البعد الثالث : ويمثل شخصية المناضل ضد الإحتلال، والمكافح بالسلاح من أجل جلاء المحتل عن أرضه، ومن رموزه سيف بن ذي يزن .

وقد أراد المؤلف بهذه الأبعاد الثلاثة أن يجسد الصراع بين ثلاثة محاور، أو بمعنى آخر بين ثلاث قوى متصارعة في أحداث المسرحية، أي بين محتل دخيل، وبين أبناء المنطقة المحتلة من وطنيين وعملاء.

وقد اختار الكاتب شخصية المرأة ليجعلها تقوم بأدوار متناقضة، تتفاوت بين الحب والوطنية والدس والإيقاع والسم والخنجر .. الخ، وقد اختارها امرأة لما في طبيعة المرأة من القدرة على الكيد للوصول إلى المآرب.

أما موضوع المسرحية فإنه من الناحية السياسية يمثل جذور المشكلة التي كانت في الستينات بين الشرق والغرب، أي بين القوى الكبرى التي كانت تتصارع للسيطرة على مناطق النفوذ وعلى الطرق التجارية والممرات المائية الاستراتيجية .

أما أحداث المسرحية فإنها تشير إلى الغزو الحبشي لليمن في القرن السادس للميلاد، وتنظر إليه على أنه لم يكن إلاّ رد فعل لمحاولة ذي نواس تصفية النفوذ الأجنبي في اليمن، حين أقدم على تصفية المسيحيين في حوالي (٥٣٣م) ثم حارب أبرهة الذي قاد حملة على اليمن لنصرة إخوانه المسيحيين، وتشير أحداث المسرحية إلى أن الغزو الحبشي على اليمن وماأعقب ذلك من حركة تنصير، دليل على رغبة الغزاة الطامعين في بسط نفوذهم على اليمن، وتشير كذلك إلى التطاحن الذي كان بين الفرس والروم ، والذي بسببه انقسم العرب إلى معسكرين : معسكر يحالف الروم، وآخر يحالف الفرس ، فقد كانت دولة الغساسنة موالية للروم، ودولة المناذرة موالية للفرس، وكانت هاتان الدولتان مركزين للإستقطاب، وفي ذلك إلى ماكان عليه الوضع الدولي في فترة الستينات، أيام أن كتب المؤلف هذه المسرحية .

وقد حاول الكاتب أن يؤكد أن ذهاب سيف بن ذي يزن إلى فارس لطلب المساعدة لم يكن مصادفة ، وإنما كان دليلاً على معرفته للصراع الدولي، ومحاولته إستغلال ذلك الصراع لصالح قضيته، وماذلك إلا إشارة من المؤلف لما ينبغي فعله من أجل مقاومة الإحتلال الحديث، أي مقاومة الإحتلال البريطاني الذي كان جاثماً في جنوب اليمن .

وقد جعل المؤلف نقطة الإنطلاق تحرير اليمن من الإحتلال الحبشي من عدن، أي من الجنوب ، ثم الاتجاه شمالاً نحو صنعاء ، وفي ذلك إشارة إلى وحدة القضية اليمنية ، ووحدة النضال الوطني ، والتحام شمال اليمن بجنوبه في القضايا المصيرية .

وفي إشارة من المؤلف إلى الصراع بين الشرق والغرب في منتصف هذا القرن، ومحاولة كل طرف كسب حلفاء له في المنطقة العربية ، جعل الفرس يرسلون النجدة إلى اليمن في نطاق المنافسة بينهم وبين الروم ، بهدف كسب حليف لهم في الجنوب لمواجهة حليف آخر لمنافسهم وهو الحبشة، وغرض المؤلف من ذلك هو الربط بين الماضي والحاضر ، لذلك أدار حواره بين شخوص المسرحية من وحي الأحداث التي كانت سائدة في تلك الفترة ، فكان المؤلف يريد أن يقول لنا : إن مايجري في الحاضر لايختلف كثيراً عما كان يجري في الماضي.

و إذا كان سيف بن ذي يزن شخصية تاريخية إلاّ أن المؤلف أراد في المسرحية أن يجعله رمزاً لصمود الشعب اليمني بكامله، ولجوء المؤلف إلى الشخصيات التاريخية يمنح المسرحية وزناً وعمقاً ، لأنه يساعد على فهم وتحليل الحاضر، أي زمن تاليف المسرحية ، واتخاذ التاريخ قناعاً مسرحياً محاولة من المؤلف للتلميح إلى أحداث مماثلة تجري في الواقع ولكن في ظروف مختلفة.

وقد ركزت المسرحية على شخصية واحدة ، هي شخصية سيف ، وجعل المؤلف الأحداث الكبيرة والثانوية تدور حولها، للدلالة على وحدة الموضوع ، ووحدة القضية ، ووحدة الأرض اليمنية .

أمامن حيث لغة المسرحية فقد اختار المؤلف اللغة الفصحى ، واتخذها وسيلة للتعبير على لسان شخوص المسرحية جميعهم، مما يدل على وحدة الناس ، ووحدة مشاعرهم ، لأن اللغة تزيل الحواجز بين الناس ، وباعتبار شخوص المسرحية يمنيين ، فإن لغة الحوار كانت فصيحة كفصاحة أبناء اليمن، الذين لاتختلط بلغتهم لغات أخرى ، إلاّ في نطاق ضيق، وفي مناطق بعينها، خاصة المناطق الساحلية أو القريبة من السواحل ، أما في المرتفعات الجبلية الداخلية فإن مفردات الفصحى هي الغالبة في أحاديث الناس اليومية.

كما أن المؤلف لجأ إلى التعبير بالشعر المقيد بالبحور المعروفة والقافية ، مما جعله يقسم البيت الواحد بين أكثر من متحدث ، بحسب متطلبات الحوار البشري ، إلى جانب أن المؤلف اختار الشكل التقليدي

للبناء المسرحي لأنه يتناول قضية تاريخية ، والموضوع التاريخي يتطلب ـــ أحياناً ـــ الإعتماد على الشكل الكلاسيكي في الكتابة المسرحية.

وإذا مانظرنا إلى شخوص المسرحية وأحداثها ، فإننا سنلاحظ أن المؤلف وظف الشخوص والأحداث توظيفاً جيداً ، فاستطاع أن يخلق نوعاً من التواصل والالتقاء بين الماضي والحاضر ، في عمل درامي واحد ، يأخذ من الماضي عوامله الإجتماعية والسياسية والنفسية ، ثم يسقط هذه العوامل على الواقع المعاش ، على نحو مارأينا في أحداث هذه المسرحية وشخوصها ، التي ساعدت عوامل الالتقاء بين الماضي والحاضر على نجاح المسرحية في الوصول إلى الهدف الذي كتبت من أجله، فقد اعتمد المؤلف على الإيحاء والرمز والاشارة إلى الواقع بذكاء في تناوله للأحداث التاريخية ، كما أستطاع أن يجعل الشخوص التاريخية ترتدي جلباب إنسان العصر ، وتكتسب صفة الحداثة ، فيكون المؤلف بذلك قد نجح في تحقيق الغرض من استدعاء تلك الشخصيات.

ويبدو أن المؤلف لم يلتزم بالأحداث التاريخية الدقيقة التزاماً صارماً ، على الرغم من اطلاعه الواسع بالتاريخ ، وغوصه في أغوار شخوص المسرحية ، وربما يرجع ذلك ـــ من وجهة نظرنا ـــ إلى رغبة المؤلف في اخضاع التاريخ لقواعد الفن، فعمل على مزج الحوادث المخترعة بالحوادث التاريخية لإيجاد علاقة وطيدة بين التاريخ وبين الواقع المعاش.

أما من حيث البناء الدرامي للمسرحية ، فإن المؤلف استطاع الملاءمة بين العناصر المختلفة في المسرحية ، وجعلها تنسجم مع بعضها لتكون البناء الدرامي ، فمن ناحية العرض ركز المؤلف منذ بداية المسرحية على الشخوص الرئيسية المؤثرة في مجرى الأحداث ، كشخصية سيف بن ذي يزن ، التي جعلها أول شخصية تطل على المسرح ، ثم يقوم بتحريك العرض كله بحركتها ، أما باقي الشخصيات ، فهي شخصيات ثانوية ، لذلك نرى الكاتب قد جعل أدوارها مختصرة ، ولكنها أدوار فاعلة ومؤثرة في مجرى أحداث العرض.

كما أن المؤلف التزم جانب الايجاز في إدارة الحوار بين شخوص المسرحية ، باستثناء بعض المواقف الدرامية التي تقتضي الإيضاح أو إبراز العاطفة أو تصوير المشاعر ، فعندئذ نجد المؤلف يطيل ـ أحياناً ـ أو يسهب في حدود متطلبات الموقف الدرامي نفسه.

ويلاحظ القارىء في هذه المسرحية أن المؤلف قد عمل ـــ جاهداً ـــ على إعطاء كل كلمة أو حركة أو تلميح وظيفة خاصة في بناء المسرحية ، حتى لايصاب بناؤها بالتفتت ، أو يصبح الحوار غير منطقي ولامقنع.

كما يلاحظ أيضاً أن المؤلف لم يفتعل العقدة افتعالاً ، وإنما وصل الذروة بصورة طبيعية ، عن طريق الصراع المتعدد الأشكال والألوان ، إبتداءً من الصراع بين سيف وحسان على حب شمس ، مروراً بالصراع بين إرياط وأبرهة على العرش، وانتهاء بالصراع بين الفرس والروم للسيطرة على مراكز النفوذ في اليمن ، ومارافق ذلك أو تبعه من أحداث ومواقف، حتى اللحظة التي انهزم الأحباش، وانتصر اليمنيون بقيادة سيف بن ذي يزن ، وقد جعل المؤلف إنحياز سيف إلى أحد معسكري الصراع الدولي ـــ حينذاك ـــ سبباً مباشراً للانتصار ، في إشارة خفية منه إلى ضرورة وجود حليف لنصرة القضايا المعاصرة، وهو مايعرف عند اليمنيين بالعقدة اليزنية.

ويلاحظ كذلك أن المؤلف لم يغفل اضفاء بعض عناصر التشويق على مسرحيته ، ليخلق منها نوعاً من الإثارة والإمتاع ، كما أن أحداث المسرحية مرتبة ترتيباً زمانياً ومكانياً ، مما أكسب بناءها الدرامي نوعاً من التماسك، بالإضافة إلى تفاوت الحركة بين السرعة والبطء في هذا المشهد أو ذاك ، فجاءت معظم الحركات ضرورية سواء كانت سريعة أم بطيئة ، يتطلبها الموقف في المشهد ذاته، إذ قلماً نجد حركة عفوية لامبرر لها ، إلاّ أن بعض المشاهد أو أغلبها تخلو من عنصر المفاجأة أو المباغتة ، مما جعل معظم حوادث المسرحية متوقعة ، بحيث يستطيع المتابع لمجرى الأحداث أن يتوقع أو يستنتج مايمكن أن يحدث في نهاية المشهد أو في المشهد التالي ، لخلو بعض المشاهد من عوامل التوتر التي تجعل العمل المسرحي أكثر جاذبية.

وقد حرص المؤلف على أن يجعل (شمس) تطل على البحر في أحد المشاهد وتبدو مبهورة هي ووصيفاتها عند مشاهدتهن ذا نواس وهو يمتطي جواده ويخوض به غمار البحر ، رغم أن المعركة لاتزال دائرة بين المتقاتلين ، ربما ليشعرنا باهمية الحدث ، بالمقارنة بالأحداث الأخرى ، إذْ أن ما فعله ذو نواس لم يكن أمراً عادياً ، بل مثيراً للغاية، ويمكن القول أن هذا المشهد يمكن اعتباره أكثر مشاهد المسرحية إثارة.

ولم يشأ المؤلف أن يجعل دور (شمس) في المسرحية هامشياً ، لايتعدى أن تكون عشيقة سيف ، وموضع منافسة بينه وبين حسان ، ولكنه عمل على أن يسند إليها دوراً وطنياً هاماً ، وجعلها تسهم في النضال الوطني إسهاماً فاعلاً حين قامت بتسميم إرياط ، والدفاع عن سيف.

أما فيما يتعلق بالحوار في المسرحية ، فكما يبدو ، أن المؤلف كان حريصاً على أن يكون الحوار بين شخوصها أقرب إلى التلقائية منه إلى الصنعة، ربما ليزيد المواقف حركة ، أو يجعلها أكثر إضطراباً.